Journal of Alasmarya University
Volume 18, June 2013

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الثامن عشر، يونيو 2013

دور المهاجرين الليبيين في التصدي للأطماع الأجنبية في ليبيا (1925 -1950)

أ. سالم الجحيدري*

يهدف هذا البحث إلى توضيح دور المهاجرين الليبيين في التصدي للأطماع الأجنبية في بلادهم، وذلك من خلال الكفاح السياسي عن طريق تشكيل بعض الجمعيات والهيئات السياسية التي عملت على فضح أساليب الاستعمار، وتوضيح معاناة الشعب الليبي بالكتابة في الصحف والمجلات، ومراسلة بعض الهيئات السياسية المناهضة للاستعمار، وقد ركزنا في هذا البحث على دور المهاجرين الليبيين في مصر وسوريا وتونس باعتبار أن حراك المهاجرين فيها كان بشكل كبير وفعال، وهذا ما سنتناوله بشيء من التفصيل في الصفحات التالية:

أولا: المهاجرون في مصر

عوامل الهجرة

هاجر الليبيون إلى مصر نتيجة عوامل عدة منها ما هو سياسي وقد تمثل ذلك في الأسلوب الوحشي الذي مارسه الإيطاليون على السكان الليبيين والذي

* الجامعة الأسمرية.

اتسم بالقسوة والحقد والانتقام[1]، والسعي لتفريغ البلاد من سكانها الأصليين لكي يحل محلهم الإيطاليون[2]، إضافة إلى العمل على وضع الليبيين في المعتقلات الجماعية، والتي كان الهدف من ورائها حرمان المجاهدين من مصادر إمدادهم بالمؤن والرجال، فضلا عن ما لاقاه هؤلاء المعتقلون من قهر وإذلال[3]، زد على ذلك تجنيد العديد من الشباب الليبيين بالقوة والزج بهم في حروب ليس لهم فيها ناقة ولا جمل[4]، إضافة إلى التفوق العسكري الإيطالي وخصوصا سلاح الطيران الذي عمل على إبادة قرى بأكملها وتسبب في إضعاف المقاومة الوطنية[5].

ومن العوامل الأخرى التي أسهمت في هجرة الليبيين حرمانهم من الأراضي الخصبة وتحويلهم إلى طبقة عمال عاديين، إضافة إلى التوجه إلى حرف أخرى تخدم أهداف سياسة المستعمر مثل شق الطرق والخدمة العسكرية[6]، وبالتالي انعكس ذلك على حياة المواطن؛ لأن الزراعة كانت تشكل أهم مصادر قوته مما اضطره إلى الهجرة إلى أماكن أخرى للبحث عن لقمة العيش وهذا ما رغبت فيه السلطات الإيطالية[7].

كما كان للعامل الاجتماعي دور هام في تفاقم ظاهرة الهجرة وذلك بسبب

1- محمد رجب الزائدي، شكيب أرسلان والقضية الليبية، ط1، مكتبة الوحدة العربية، ليبيا، 1964، ص 5.

2- مصطفى أحمد بن حليم، ليبيا انبعاث أمة وسقوط دولة، منشورات الجمل، ألمانيا، 2003، ص 40.

3- إدريس صالح الحرير، الاستعمار الاستيطاني في ليبيا 1911-1970، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1984، ص125.

4- المرجع نفسه، ص 125.

5- عز الدين العالم، تاريخ ليبيا المعاصر السياسي والاجتماعي (1922-1948)، ط1، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 2001، ص 189.

6- نيكولاي بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن 19 حتى 1969، ت: عماد حاتم، ط2، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1988، ص 218.

7- إبراهيم أحمد أبو القاسم، المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية (1911-1957)، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1992، ص 23.

استباحة حرمات الليبيين وتشتت عائلاتهم وانتهاك أعراض الناس بالقوة، فضلا عن الوضع المأساوي الذي عاشه الليبيون داخل المعتقلات بسبب تفشي الأمراض، وارتفاع معدل الوفيات بينهم[8].

إضافة إلى العوامل سالفة الذكر هناك عامل آخر تمثل في الصراع من أجل الهوية، فالمواطن الليبي دائما متمسك بهويته العربية الإسلامية في حين يسعى المستعمر الإيطالي إلى فرض هويته الثقافية التي تتعارض مع عادات وتقاليد المجتمع الليبي[9]، الأمر الذي دفعه للهجرة للحفاظ على ثقافته وهويته العربية الإسلامية، فقد أجمع عدد من فقهاء المسلمين المالكية على أن أي مسلم احتلت أرضه من قبل الكفار، ولم يتمكن من صده أو الجهاد لتحريرها منهم، فعليه بالهجرة إلى بلد آخر مسلم متى تيسرت له أمور الهجرة[10].

وقد رافق تلك الهجرة العديد من الصحفيين والكتاب، بالإضافة إلى بعض القيادات السياسية وعلى رأسهم أحمد المريض وأحمد السويحلي، والتي كانت مؤهلة للقيام بنشاط سياسي[11]، وقد أفسحت لهم مصر صدرها، وأكلوا من خيراتها بعرق جبينهم، وأعمالهم الإنسانية الشريفة إذ اشتغل بعضهم بالتجارة وبعضهم الآخر بالفلاحة، كما اشتغل بعض منهم بالحراسة، وكانوا مثالا للصدق والأمانة والإخلاص، وقد استقروا في مناطق الصحراء الغربية في مطروح وبراني حتى الإسكندرية شرقا، ولهم الفضل في إعمار بعض مناطق تلك الصحراء، إضافة إلى ذلك فقد اهتموا بالمجال التعليمي حيت أرسلوا أولادهم إلى الأزهر وإلى أغلب مدارس مصر ومعاهدها[12].

8- إبراهيم أحمد أبو القاسم، المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية (1911-1957)، ص 29، 30.

9- عز الدين العالم، المرجع السابق، ص 72.

10- تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1925-1950، مركز دراسة جهاد الليبيين، طرابلس 1983، ص 30.

11- إبراهيم أحمد أبو القاسم، المرجع السابق، ص 22.

12- الطاهر الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة، ط1، دار الفرجاني، طرابلس، 1976، ص 12-14.

أهم الجمعيات والهيئات التي أسسها المهاجرون

كان بداية عملهم النضالي يتمثل في نشر المقالات في الصحف المصرية بأسماء مستعارة وضحوا فيها الأعمال المشينة التي ارتكبها الإيطاليون ضد الشعب الليبي، ومن بين هذه المقالات (نداء إلى العالم الإسلامي) و(فجيعة العرب في طرابلس الغرب) و(الاستنهاض)، واستمرت تلك الجمعيات والهيئات تعمل بكل سرية حتى ظهرت بوادر الحرب العالمية الثانية أواخر عام 1939[13]، وعلى الرغم من أنها لم تتحصل على ترخيص رسمي من قبل الدولة المصرية أو السلطات البريطانية غير أنها ظلت تعمل في الخفاء من أجل تحقيق أهدافها[14]، وتمثلت هذه الجمعيات والهيئات في الآتي:

1. جمعية الدفاع الطرابلسية

تأسست عام 1928 من قبل مجموعة من الشباب الليبيين الدارسين في الأزهر الشريف وهم عبد الله الهادي الرويمي والطاهر اسبيطة ويوسف الجعراني والهادي عرفة وأبو القاسم الباروني وعبد الله السحري وعبدالرحمن دقاق، حيث كلف الأخير سكرتيرا للجمعية، أما عن نشاطها فقد تمثل في تأييد مهاجري بلاد الشام والكتابة في الصحف المصرية عن نضال الشعب الليبي، إضافة إلى الاتصال ببعض الزعماء الليبيين والعرب بهدف التقريب بين وجهات نظر المهاجرين، وكذلك توجيه البيانات والاستنكارات إلى المنظمات العربية والإسلامية[15].

2. نادي طرابلس الغرب الثقافي

تأسس في القاهرة عام 1940 برعاية زعماء المهاجرين وجهود الطلبة الليبيين الدارسين في مصر، وهو ناد اجتماعي ثقافي رياضي، والهدف منه تثقيف الطلبة الليبيين وإعدادهم لخدمة قضيتهم، وقد تناوب على رئاسته العديد

13- محمود الشنيطي، قضية ليبيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951، ص 159.

14- حمزة عبد السلام زويد، السياسة الأوروبية تجاه ليبيا 1932-1951، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى كلية الآداب، جامعة طنطا، 2011، ص 67.

15- عز الدين العالم، المر جع السابق، ص 177.

من الطلبة منهم عمر الغويلي ومن أهم مناشطه إلقاء المحاضرات من قبل المثقفين الليبيين والعرب بعدة عناوين منها (دعائم العهد الجديد وليبيا الحديثة) و(لمحات عن الحرب الليبية الإيطالية)، إضافة إلى إعداد المذكرات السياسية وإرسالها إلى الهيئات والمنظمات الدولية يشرحون لهم فيها معاناة الشعب الليبي[16].

3. جمعية مرسى مطروح الخيرية

تأسست في يناير 1940 وهي جمعية أدبية اجتماعية من أهدافها تحقيق التكافل الاجتماعي بين المهاجرين، إضافة إلى محاولة الرفع من المستوى العلمي والأدبي لهم، فضلا عن توفير الرعاية الاجتماعية لدوى العاهات والفقراء، وذلك بإعطائهم المنح المالية، أما رئاسة الجمعية فقد أسندت إلى علي بك شاهين محافظ الصحراء الغربية وكلف محمد على المهرك سكرتيرا لها، وعلى محمد لاغا أمينا للصندوق، إضافة إلى مجموعة أخرى من الأعضاء من بينهم علي مصطفى المنقوش وأحمد علي بشير وإبراهيم جبريل ومحمد الرواتي وعبد الكافي السمين ومحمد المحجوب[17].

ويلاحظ أن هذه الجمعية قد استبعدت العمل السياسي وإنما اكتفت بالعمل الاجتماعي الإنساني، وهذا مما يدل على التكافل الاجتماعي والأخلاق النبيلة التي يمتاز بها المهاجرون الليبيون.

4. الجمعية الوطنية الليبية

تأسست من بعض الأعضاء البرقاويين الموالين لإدريس السنوسي حيث كانت مصاحبة لقرارات 9 أغسطس 1940، ووجدت اعترافا ودعما من طرف الإنجليز، وهي التي وافقت على قرارات 9 أغسطس عندما امتنع المهاجرون الطرابلسيون التوقيع عليها[18].

16- محمود الشنيطي، المصدر السابق، ص 162.

17- عز الدين العالم، المرجع السابق، ص 244.

18- محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ط1، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957، الجزء الأول، ص 276.

5. جمعية عمر المختار

تأسست عام 1941 من قبل مجموعة من الشباب الليبيين في طلائع جيش التحرير، وكان على رأسهم أسعد عرابي بن عمران ثم بعد وفاته ترأس الجمعية مصطفى بن عامر وهو أحد الأعضاء البارزين في عناصر الحركة الوطنية، إضافة إلى علي بن فلاق وفرج بوروين والمهدي المطردي وسالم سعيد ورجب بن غزي وصالح مسعود بويصير، ومن أهدافها السياسية المطالبة بالاستقلال والوحدة دون أي تجزئة، أما عن نشاطها السياسي فلم يكن بشكل كبير عدا بعض الاجتماعات التي تعقد مساء كل خميس في منزل صالح بويصير وذلك أثناء عودة المجندين في الجيش الليبي إلى القاهرة لقضاء عطلتهم الأسبوعية، وإنما كان نشاطها بشكل أوسع في المجالات الرياضية والترفيهية[19].

وبوصول القائد الألماني رومل إلى العلمين في عام 1942 الذي تسبب في اضطراب الموقف العسكري للحلفاء غادر بعض أعضائها إلى السودان والحجاز واضطر مسعود بويصير نتيجة لخطورة الموقف إلى حرق الأوراق الخاصة بالجمعية، وبهذا توقف عملها وبشكل نهائي في القاهرة حتى أعيد تنظيمها من جديد داخل الوطن في بنغازي في إبريل 1943[20].

6. اللجنة الطرابلسية

تأسست عام 1943 في القاهرة وكان أحمد السويحلي رئيسا لها وعمر الغويلي أمينا أول وأبو القاسم الباروني أمينا ثانيا والطاهر الزاوي وكيلا، ومن أهدافها المطالبة باتحاد ليبيا من البحر المتوسط شمالا إلى السودان وما جاورها جنوبا ومن الحدود المصرية شرقا إلى الحدود التونسية غربا، إضافة إلى الاستقلال التام والانضمام إلى الجامعة العربية، وقد تميز أعضاؤها بالصراحة في مواقفهم، ومن أهم أعمالها مراسلة المؤسسات الدولية المتمثلة في الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة ولجنة التحقيق الرباعية مطالبة بالحق الشرعي المتمثل في الوحدة والاستقلال[21].

19- عز الدين العالم، المرجع السابق، ص 245، 246.

20- سامي الحكيم، حقيقة ليبيا، ط1، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1968، ص 17.

21- الطاهر الزاوي، المصدر السابق، ص 16، 19.

7. هيئة تحرير ليبيا

تأسست في مصر عام 1947 برئاسة بشير السعداوي وعضوية كل من أحمد السويحلي والطاهر المريض وجواد بن زكري ومنصور بن قدارة ومحمود أحمد المنتصر، ومن أهدافها تنوير الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي، والمطالبة بالاستقلال والوحدة والانضمام إلى الجامعة العربية، إضافة إلى متابعة ما يدور في مؤتمر وزراء خارجية الدول الأربع، والاتصال بالأحزاب الليبية التي تشكلت في الداخل ومحاولة التوفيق فيما بينهما، فضلاً عن مراسلة الجامعة العربية ومطالبة رئيسها بعرض القضية الليبية على مجلس الجامعة والمطالبة بمساعدة وإعانة الشعب الليبي من الكارثة التي حلت به إثر عملية الجفاف سنة 1947[22]، كما حاول رئيسها شرح القضية الليبية على بعض القيادات العربية أمثال الحبيب بورقيبة وعبد العزيز آل سعود أثناء زيارته لتونس والسعودية[23].

كما راسلت جمعية الاتحاد البرقاوي الطرابلسي بتونس، وبينت لها موقفها من لجنة الاستفتاء الرباعية التي سوف تحل على ليبيا في مارس 1948، وبناء على ذلك اجتمع أعضاء جمعية الدفاع البرقاوي الطرابلسي بتونس وقرروا العودة إلى أرض الوطن للتصدي لتلك اللجنة[24].

إضافة إلى ذلك طالبت الهيئة الدول العربية بأن تتخذ خطوات عملية لدى الدول الأربع الكبرى لتأييد الاستقلال والوحدة ورفض الوصاية الإيطالية مشيرة بذلك بأن عودة الإيطاليين إلى ليبيا سوف يؤدي إلي حرب دامية لن تقف حيالها الشعوب العربية والإسلامية مكتوفة الأيدي، كما أنها وجهت نقداً عنيفاً إلى سياسة الإدارة الإيطالية السابقة، وإلى سياسة الإدارة البريطانية التي سيطرت على الأوضاع

22- عز الدين العالم. المرجع السابق، ص 303.

23- محمد الهادي أبو عجيلة، دور الحركة الوطنية في الكفاح ضد الأطماع الأجنبية في ليبيا عقب الحرب العالمية الثانية، مجلة الساتل، العدد الأول، جامعة 7 أكتوبر، مصراتة، ديسمبر 2006، ص 116.

24- أحمد زارم، مذكرات صراع الشعب الليبي مع مطامع الاستعمار 1943-1968، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ص 55.

في طرابلس وبرقة في مطلع عام 1943[25].

إلى جانب ذلك عقد الطاهر المريض أحد أعضاء الهيئة مؤتمراً صحفياً جاء فيه أن الهيئة لا تريد من الدول التي صرحت بأنها تناصر الديمقراطية أن تتنازل عن ما صرحت به، والتي قطعت على نفسها عهداً أن لا تخل بعهدها، ثم بعد ذلك وصل أعضاؤها إلى ليبيا قبل أن تصل لجنة الاستفتاء الرباعية بأيام قليلة لكي يقوموا بدورهم النضالي داخل الوطن، وبهذا انتهى دورها في المهجر[26].

ومن الملاحظ أن هذه الجمعيات والهيئات الليبية التي شهدتها الأراضي المصرية جاءت نتيجة الإحساس والشعور الوطني والقومي لدى أغلبية المهاجرين، وتدل على مدى وعي وثقافة المهاجر الليبي الذي سعى جاهداً في طرد المستعمر والحصول على الاستقلال.

وقد قام أعضاء هذه الجمعيات والهيئات بعدة لقاءات مع بعضهم البعض ومع بريطانيا خصوصا عشية الحرب العالمية الثانية، وقد تمثلت هذه اللقاءات في الآتي:

1. مؤتمر فكتوريا 20 -30 أكتوبر 1939

عندما بدأت بوادر الحرب العالمية الثانية رأى الزعماء الليبيون الموجودون في المهجر المصري أن الفرصة قد حانت لإخراج الإيطاليين من ليبيا في حالة انضمام إيطاليا إلى ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، فبادروا بالدعوة إلى هذا الاجتماع في منزل إدريس السنوسي بفكتوريا بالإسكندرية، وخرج المؤتمر بعدة قرارات منها تفويض إدريس السنوسي في التمثيل السياسي عن المهاجرين، إضافة إلى أحقيته في تعيين وكيل ينوب عنه في حالة غيابه، وتكوين مجلس استشاري منتخب من الطرابلسيين والبرقاويين للرجوع إليه، وقد حضر هذا الاجتماع واحد وخمسون شيخا من ترهونة ومصراتة وبنغازي وورفلة وغريان والعواقير والبراعصة والعبيدات والمغاربة والحاسة ومن بينهم عبد السلام الكزة وصالح

25- عز الدين العالم، المرجع السابق، ص 304، 305.
26- أحمد زارم، المصدر السابق، 63.

الأطيوش وعبد الحميد العبار وعون سوف وأحمد السويحلي وعبد الحميد أبو مطاري ومحمد توفيق الغرياني وإبراهيم أحمد الشريف السنوسي[27].

ولكن سرعان ما حدث خلاف في فهم قرارات هذا المؤتمر فالبرقاويون اعتبروا هذه القرارات تفويضا لإدريس عن الليبيين في المهجر، في حين أن الطرابلسيين عارضوا ذلك خوفا من انفراد إدريس بالإمارة المطلقة[28].

2. مؤتمر غاردن ستي بالقاهرة 7 -9 أغسطس 1940

جاء هذا المؤتمر نتيجة لدخول إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا في 10 يونيو 1940[29]، وبطلب من الإنجليز تشكيل جيش يشارك في الحرب إلى جانب الحلفاء[30]، وعقد الاجتماع الذي حضره رؤساء القبائل وشيوخ برقة وبعض الطرابلسيين[31]، وقرروا فيه عدة بنود منها وضع الثقة في دولة بريطانيا التي قدمت المساعدة لليبيين والتي سوف تساندهم في تحرير البلاد من الإيطاليين، إضافة إلى إعلان الإمارة السنوسية والثقة التامة في الأمير إدريس السنوسي، وتعيين هيئة استشارية تمثل القطرين، وكذلك خوض غمار الحرب ضد إيطاليا تحت علم الإمارة السنوسية، وتعيين حكومة سنوسية تدير الشؤون الضرورية مؤقتا، وتعيين هيئة تجنيد، والتوسل لدى الحكومة البريطانية بواسطة الأمير إدريس وتفويضه في حالة عقد اتفاقيات ومعاهدات سياسية ومالية وحربية[32].

غير أن هذه البنود اعترض عليها أحمد السويحلي والطاهر المريض من الزعماء الطرابلسيين بحجة أنها لا تخدم القضية الليبية وأن مشاركة الجيش الليبي يكون مقابلها الاستقلال الكامل للبلاد[33]، وليس كما اتفق السيد إدريس السنوسي

27- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، 1948، ص 378، 379.
28- عز الدين العالم، المرجع السابق، ص 191.
29- بروشين، المرجع السابق، ص 229.
30- مجدي رشاد عبد الغني، العلاقات المصرية الليبية 1945-1969، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007، ص 37.
31- بروشين، المرجع السابق، ص 229.
32- حمزة زويد، المرجع السابق، ص 76.
33- مجيد خدوري، ليبيا الحديثة، ت: نقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت، ص 44.

مع البريطانيين بأن تكون المشاركة مقابل أجرة مالية تعطى للجنود، إضافة إلى تمسك الطرابلسيين بتحرير البلاد أولا ثم النظر في نظام الحكم، في حين أن البرقاويين كان هدفهم موافقة الطرابلسيين على إمارة السيد إدريس السنوسي وأن الوحدة بين طرابلس وبرقة تكون على هذا الأساس[34]، وأن هذا المؤتمر جاء مخالفا للاتفاق السابق المعقود في الإسكندرية عام 1939 الذي نص على عدم أخذ أي قرار إلا بعد الرجوع إلى الهيئة المكونة من زعماء البلاد[35].

وتلافيا للخلاف اجتمع بعض الزعماء الطرابلسيين والبرقاويين في 3 يناير 1941 وكتبوا إلى إدريس السنوسي مراسلة اقترحوا فيها عليه العودة إلى اتفاق فكتوريا، ووقع عليها من الطرف الطرابلسي عون سوف وأحمد السويحلي والطاهر المريض ومحمد توفيق الغرياني ومن الجانب البرقاوي صالح الاطيوش وعبد الحميد العبار وسعدالله النمر وأحمد مفتاح ونصر عبد السلام الكزة وسعيد جربوع، فكان رد إدريس أن للبرقاويين الحق في تشكيل المجلس وأما الطرابلسيون فليس لهم الحق حتى يقدموا المعونة للبريطانيين ولا اتفاق معهم إلا بعد التجنيد[36].

واستمر الخلاف بين قادة المهاجرين وحاول بشير السعداوي إنهاءه وذلك من خلال تنسيق اجتماع بين الطرابلسيين والبرقاويين في منزل إدريس السنوسي حضره من الجانب الطرابلسي منصور بن قداره والشيخ الغويلي والشيخ الهادي الرويمي المسلاتي ومن الجانب البرقاوي عمر شنيب واتفقوا على مبدأ الوحدة والاستقلال، غير أن عمر الغويلي رفض التوقيع على الاتفاق بحجة وجود كلمة سمو الأمير في المحضر وهذا معناه الاعتراف لإدريس بالإمارة[37].

ويتضح مما سبق أن الخلافات التي وقعت بين القوى الوطنية في المهجر

34- محمد الهادي أبو عجيلة، كفاح الشعب الليبي من أجل الاستقلال والوحدة (1939-1963)، دار مكتبة الشعب، 2012، الجزء الأول، ص 42، 44.

35- الطاهر الزاوي، المصدر السابق، ص 182.

36- محمود الشنيطي، المصدر السابق، ص 170، 171.

37- محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، المصدر السابق، ص 318.

سواء في تشكيل الجيش أو في مسألة الاستقلال التام أو في الإمارة يرجع إلى حرص كلا الطرفين على مصلحة الوطن واستقلاله وهذا الذي تحقق فيما بعد رغم تدخل بعض الدول الأجنبية ومحاولة دق إسفين الفرقة بين أبناء الشعب الواحد.

ثانيا: المهاجرون في الشام

عوامل الهجرة

هاجر بعض الليبيين إلى بلاد الشام والتي تعد بعيدة نسبياً عن بلادهم إلا أنها كانت مكان ارتياح لهم وذلك لعدة عوامل منها أن الديار الشامية ظلت تحت سيطرة السلطات العثمانية حتى سنة 1918، وهذا الأمر سهل للمهاجرين الليبيين الإقامة في تلك الأماكن وذلك بسبب اعتزاز الأتراك بنضال الشعب الليبي ضد الإيطاليين فضلاً عن تقديم السلطات العثمانية بعض المساعدات لهم منها إيجاد وظائف للبعض منهم خاصة الذين فقدوا وظائفهم في البلاد[38].

إضافة إلى وجود عامل آخر يتمثل في المكانة الروحية التي تتمتع بها بلاد الشام فكان الحاج الليبي يعتبر زيارته للقدس ودمشق من متممات حجته، كما يوجد عامل ثالث وهو ما قامت به إيطاليا من تهجير تعسفي إلى أماكن بعيدة يصعب على المهجرين العودة منها ومن بينها سوريا[39]، فضلا عن مغادرة بعض الموظفين التابعين للحكومة العثمانية عقب معاهدة أوشي لوزان في نوفمبر 1912 من بينهم المناضل الكبير بشير السعداوي[40].

إن معظم الليبيين الذين هاجروا إلى الشام على درجة عالية من التعليم، فضلا عن امتلاك بعضهم للأموال التي ساعدت في نجاح دورهم النضالي إلى جانب مساعدة إخوانهم السوريين لهم[41].

38- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 31.

39- المرجع نفسه، ص 32.

40- محمد سعيد القشاط، ليبيون في الجزيرة العربية، ط2، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008، ص 20.

41- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 33.

بداية النشاط السياسي للمهاجرين

بدأ نشاطهم السياسي مع مطلع عام 1925 بناءً على اجتماع عقد في منزل فوزي النعاس وحضره العديد من القياديين على رأسهم بشير السعداوي[42]، وكان الهدف من الاجتماع هو تأسيس جمعية تضم كل القيادات الليبية في الشام تحت اسم (جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي) لمواجهة السياسة التعسفية الإيطالية تجاه الليبيين[43] وذلك من خلال تزويد الصحف السورية والعربية بآخر الأخبار عن جهاد الليبيين وفضح الأساليب غير الإنسانية التي يمارسها الإيطاليون داخل أرض الوطن، إضافة إلى مهام اجتماعية أخرى كانت سبباً في توثيق الصلة بين أفراد الجالية[44]، وقد كان لهذه الجمعية نشاط كبير مرجعه نشاط أغلب المهاجرين في الشام وأيضا بسبب عدم وجود خلاف بين المهاجرين كما هو الحال في مصر ولذلك حظيت بتأييد كبير من قبل معظم الليبيين في الداخل والخارج[45].

استمرت الأنشطة السياسية والاجتماعية سراً حتى عام 1928 بعدما أحيل بشير السعداوي وعمر شنيب إلى التقاعد حيث عقد اجتماع في منزل فوزي النعاس في أغسطس من العام ذاته، وتم انتخاب بشير السعداوي رئيسا لهذه الجمعية وعمر شنيب أمينا لسرها، وتولى فوزي النعاس شؤون النشر والإعلان والهادي الرئيس الشؤون المالية، واتفقوا على أن لا يظهر اسما النعاس والرئيس على أي نشرة أو نشاط وذلك بسبب وجودهما كموظفين في الدولة التي تحت السيطرة الفرنسية[46]، وقد وضعوا ميثاقاً وطنياً من عدة بنود تمثلت في تأليف حكومة وطنية ذات سيادة لطرابلس وبرقة يرأسها زعيم مسلم يختاره الشعب، وتشكيل جمعية تأسيسية لسن دستور للبلاد، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية في

42- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 40.
43- مصطفى بن حليم، المصدر السابق، ص 72.
44- محمود السنيطي، المصدر السابق، ص 157.
45- محمد الهادي أبو عجيلة، مجلة الساتل، المرجع السابق، ص 111.
46- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 41.

البلاد، والمحافظة على شعائر الدين الإسلامي[47].

أعمال الجمعية السياسية

بدأت هذه الجمعية العمل العلني وذلك من خلال اتصالها بالهيئات العربية والإسلامية والعالمية وقد تحصلت على إعانات مادية من تلك الهيئات، كما عملت على توزيع المناشير بين الحجاج تحت عنوان استغاثة مسلمي طرابلس وبرقة[48].

وبنجاح أعضاء اللجنة التنفيذية للجمعية من خلال إمدادها بالمعلومات في الصحف وتوزيع المناشير التي تبين معاملة الإيطاليين السيئة في ليبيا استدعيت من قبل اللجنة التحضيرية للمؤتمر الإسلامي الموسع الذي عقد بمدينة القدس عام 1931[49].

وبهذا النجاح أيضا ألزمت إيطاليا بأن تتفاوض مع بعض أعضاء هذه الجمعية خاصة بعد فشلها في استمالة فرنسا للضغط على أعضائها، وبالفعل تم اجتماع بين القنصل الإيطالي في بيروت وعضوية اثنين من القنصلية الإيطالية بدمشق وكان على رأس أعضاء الجمعية بشير السعداوي بأحد فنادق العاصمة السورية، وقد عرض الليبيون مطالبهم المستوحاة من بنود ميثاقهم الوطني وأهمها منح الحرية والاستقلال للبلاد مع ضمان لإيطاليا مصالحها الاقتصادية والأدبية في ليبيا، وبناء على ذلك تم دعوة بشير السعداوي لزيارة إيطاليا غير أن هذه الزيارة لم تتم وذلك بسبب المخاوف التي تلقاها السعداوي، كما حدد اجتماع آخر في القنصلية الإيطالية بسوريا بين السعداوي والقنصل الإيطالي والتي تعرض فيها الأول لمحاولة اغتيال غير أنه تيقظ لذلك وفر مسرعا إلى خارج القنصلية[50].

إن مثل هذه التصرفات المشينة ليست بغريبة على الإيطاليين وهي تدل على

47- صلاح العقاد، ليبيا العاصرة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ص 25.
48- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 41.
49- محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، المصدر السابق، ص 300، 310.
50- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 63، 64.

ضيق صدر الساسة الإيطاليين من خلال الأنشطة الناجحة التي تقدمها جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي في المهجر السوري.

ومن أعمال الجمعية أيضاً إصدار كتاب تحت عنوان (فضائع السود الحمر أو التمدن بالحديد والنار) الذي بينت فيه العمليات التي تقوم بها إيطاليا داخل ليبيا بداية من عام 1911 حتى عام 1931 وترجم منه عدة نسخ بالفرنسية ووزع الكتاب بشكل كبير في أغلب الأقطار العربية والإسلامية[51].

إضافة إلى ذلك عمل أعضاء اللجنة التنفيذية بالجمعية على إقامة حفل تأبيني لاستشهاد عمر المختار اشترك فيه أغلب الجالية الليبية الموجودة بالشام مع مشاركة إخوانهم السوريين وعلى رأسهم لطفي الحفار أحد زعماء الكتلة الوطنية السورية الذي ألقى خطابا طالب فيه بمقاطعة البضائع الإيطالية[52].

إن مثل هذه المطالب من قبل أشقاء سوريين طالبت به حتى بعض الصحف الصادرة في مصر آنذاك وعلى رأسها مجلة المنار عندما أصدرت تصريحا في إطار فتوى ذكرت فيه « بأن أي مسلم يعامل طليانيا ماليا أو زراعيا فإن عليه اللعنة من الله ورسوله والمسلمين أجمعين »[53].

ومن الأعمال السياسية الخطاب الذي ألقاه بشير السعداوي في مكة أثناء أدائه لفريضة الحج عام 1931 والذي ندد فيه بسياسة إيطاليا التعسفية في ليبيا[54].

كما عملت الجمعية على توثيق صلاتها بالهيئات السياسية المناهضة للفاشستية أمثال الجمعية الأسبانية العربية في مدريد، والحزب المضاد للفاشستية الذي تأسس في 28 مارس 1927 بباريس، والاتحاد الفرنسي للدفاع عن حقوق الإنسان بباريس، وذلك لغرض فضح مشاريع موسوليني الاستيطانية على الملأ

51- أحمد زارم، المصدر السابق، ص 66.
52- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 70.
53- مجلة المنار، المجلد الر ابع عشر، الجزء الحادي عشر،21 نوفمبر 1911، ص 836.
54- مجيد خدوري، المصدر السابق، ص 38.

وبيان مدى ظلم إيطاليا ومنافاتها لمبادئ الإنسانية[55].

إضافة إلى ذلك فقد تصدت الجمعية لحركة الاستقلاليين العرب في دمشق وبغداد وفلسطين الذين أخذوا يتقربون من إيطاليا وألمانيا لمقاومة الاحتلال الإنجليزي، كما حاول أعضاؤها توسيع حدة الخلاف بين فرنسا وإيطاليا وذلك من خلال بعض المراسلات التي بعثوها إلى القائد الفرنسي في سوريا والتي مفادها أن إيطاليا تقوم بنشر الدعايات ضد الحكومة الفرنسية في الأقطار العربية خاصة في تونس والجزائر وسوريا وضد الإنجليز في مصر وفلسطين والحجاز، وإن القنصليات والمؤسسات الإيطالية أصبحت شبه دوائر استخبارية ضد فرنسا وإنجلترا[56].

يبدو أن مثل هذا العمل ليس المقصود منه التقرب إلى تلك الدول التي تحتل أقطارا عربية أخرى وإنما هو لمحاولة إحداث تباعد وفرقة بين الدول الاستعمارية ولكي يتمكنوا من ممارسة نشاطهم بدون أي ضغوطات فرنسية.

كما حاول المهاجرون التواصل مع بعض القوى الوطنية في البلاد العربية لمحاولة التأثير على إيطاليا والحد من تصرفاتها المشينة داخل ليبيا[57].

ومن بين أعمال الجمعية السياسية أنها نظمت اتفاقاً سرياً بين دبلوماسي يوغسلافي وبشير السعداوي في فبراير 1933 بخصوص محاربة إيطاليا عن طريق الحدود التونسية وذلك من خلال تزويد الليبيين بالسلاح والعتاد من قبل يوغسلافيا، وإن مثل هذا الموقف من قبل يوغسلافيا ناتج عن ضم موسوليني لمدينة فيوني اليوغسلافية إلى إيطاليا بالقوة، وبالفعل قام السعداوي إثر ذلك بمراسلة محمد فكيني بتونس للتنسيق في هذا الأمر، ولكن ما لبثت أن تغيرت الظروف السياسية بعد أشهر قليلة حيث حدث وفاق يوغسلافي إيطالي وإيطالي

55- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 77، 78.
56- المرجع نفسه، ص 102.
57- مجيد خدوري، المصدر السابق. ص 38.

فرنسي، وتأجل الكفاح المسلح حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية[58].

يلاحظ هنا مدى ضخامة الأعمال التي قام بها أعضاء هذه الجمعية غير أن الظروف الدولية حالت دون تنفيذها.

أعمال الجمعية الثقافية والرياضية

لهذه الجمعية العديد من الأنشطة الثقافية والرياضية تمثلت في تأسيس فريق لكرة القدم تحت اسم فريق الصحراء الطرابلسي البرقاوي في سنة 1938، وقد تولى إدارته محمد عثمان يوسف ثم تولى بعده فخر الدين الشريف، كما تم تأسيس فريق للكشافة في العام ذاته، وقد شارك الفريقان في عدة مباريات واستعراضات داخل دمشق وخارجها للفت أنظار الناس إلى الجالية الليبية وقضيتها، إضافة إلى ذلك تم تشكيل فرقة مسرحية لعرض مسرحية بعنوان عمر المختار غير أن السلطات الفرنسية حالت دون عرضها[59]، إضافة إلى ذلك كان لهذه الجمعية نشاط على المستوى الإعلامي وذلك من خلال التعاون مع بعض الوطنيين في البلاد العربية وعلى رأسهم الأمير شكيب أرسلان الذي تناول القضية الليبية في صحيفة الأمة العربية التي كانت تصدر في جنيف باللغة الفرنسية[60].

العلاقة بين قادة المهاجرين في والشام ومصر

مع بداية عام 1939 بدأت العلاقات بين الطرفين وذلك بانضمام عمر شنيب أمين سر الجمعية إلى إدريس السنوسي بناء على مراسلة الأخضر العيساوي له وإقناعه بأن إدريس هو الزعيم الوحيد للبلاد، كما حاول شنيب إقناع أعضاء الجمعية بمحاولة مراسلة إدريس السنوسي غير أن الخلافات القائمة بين زعماء المهاجرين في مصر حالت دون ذلك[61].

58- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 96-98.

59- المرجع نفسه، ص 143.

60- محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر صفحات من التاريخ السياسي، ط 1، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، 2004، الجزء الأول، ص 203.

61- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 146-148.

لقد غيرت الظروف في العلاقة بين الطرفين بعد اجتماع الإسكندرية بمصر في 1939 والذي تم فيه الاتفاق على تفويض إدريس السنوسي بالإمارة، وعلى إثر ذلك اجتمع أعضاء الجمعية في دمشق بتاريخ 11 ديسمبر 1939 وقرروا بالإجماع انتخاب إدريس السنوسي لقيادة الجهاد ضد الإيطاليين، كما بعثوا برسالة إلى إدريس يعلنون فيها تأييدهم لبنود اجتماع الإسكندرية، وأنهم جمعياً تحت راية الجهاد لاسترداد الوطن المغتصب[62].

ومنذ ذلك الوقت اعتبر عمر شنيب نفسه وكيل إدريس السنوسي في دمشق، ولم تمض شهور حتى وردت له رسالة من إدريس السنوسي بمغادرة دمشق والالتحاق به في القاهرة، وكان ذلك بعد إعلان إيطاليا دخولها الحرب رسميا ضد دول الحلفاء[63].

كما اتفق عمر شنيب مع أعضاء الجمعية قبل سفره على تبادل المراسلات فيما بينهما وتشكيل جيش من الجالية الليبية بالشام للمشاركة في الحرب ضد الإيطاليين، إلا أنه بعد وصول شنيب إلى القاهرة لم ترد منه أيه رسالة رغم مراسلة أعضاء الجالية له، ولم تتم مشاركة الجيش في هذه الحرب[64].

ربما ذلك راجع إلى اقتراب وقت الحرب العالمية الثانية والدخول في المرحلة الحاسمة التي شغلت شنيب مع زعماء المهجر المصري في ترتيب الأمور والاستعداد للمواجه.

أوضاع الجالية الليبية أثناء سنوات الحرب وبعدها

من الطبيعي أن يجمد الليبيون نشاطهم السياسي في بعض مراحل الحرب العالمية الثانية، وذلك بسبب احتلال ألمانيا لفرنسا في يونيو1940[65]، حيث عملت السلطات الفرنسية التابعة للنازية بمطاردة الجالية الليبية وإيقاف نشاطها ضد

62- محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، المصدر السابق، ص 280، 281.
63- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 152.
64- المرجع نفسه، ص 153.
65- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المصدر السابق، ص 378.

الإيطاليين واستمر هذا الحال حتى يوليو 1941 عندما دخل الجيش الإنجليزي دمشق[66].

بعد انتصار الحلفاء قسمت البلاد على المستعمرين الجدد، الأمر الذي جعل الليبيين ينددون بهم من خلال كتابة المقالات في الصحف واستمر ذلك حتى 17 إبريل عام 1946 عندما نالت سوريا استقلالها وفتح المجال أمام الجالية الليبية لمزاولة كامل نشاطها السياسي[67].

على إثر ذلك عقد اجتماع اتخذ فيه أعضاء الجمعية عدة قرارات تمثلت في حل جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي وتشكيل هيئة جديدة باسم (هيئة تحرير طرابلس وبرقة)، وتم انتخاب كامل عياد رئيسا لها وعبد الغني الباجقني أميناً لسرها، فضلا عن بعض الأعضاء الآخرين، إضافة إلى تنسيق المواقف مع زعماء الجالية الليبية في مصر[68]، والاستمرار في إصدار المقالات التي تندد بسياسة إيطاليا التي أصبح أمرها يستفحل داخل ليبيا بالتآمر مع الإنجليز، فضلا عن المطالبة باستقلال ليبيا بكامل حدودها[69].

مهام هيئة تحرير طرابلس وبرقة

كان لهذه الهيئة عدة اتصالاتٍ ببعض الهيئات السياسية التي تشكلت في الداخل، كما قامت الهيئة بالاتصال بوزارة الخارجية البريطانية والدول العربية يطلبون منهم محاولة إيقاف السيل العارم المتمثل في تدفق الإيطاليين إلى ليبيا[70].

كانت الهيئة أيضاً تراقب كل ما يجري من أحداث على الساحة الليبية، حيث أعدت مذكرة وبعثت بنسخ منها إلى كل من إدريس السنوسي وبشير السعداوي وعمر شنيب وأحمد المريض وسالم المنتصر وعبد الرحمن عزام

66- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 154.
67- المرجع نفسه، ص 154.
68- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المصدر السابق، ص 375.
69- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 155.
70- المرجع نفسه، ص 158.

رئيس الجامعة العربية، والتي مفادها المطالبة بوحدة ليبيا وأن الشعب الليبي شعب واحد بعاداته وتقاليده وأصوله ودينه وقد عاش تاريخاً واحداً طوال الزمن، وأن انفصال برقة عن طرابلس أخطر من الاستعمار نفسه، وأن الجالية الليبية في الشام شاعرة بخطورة التقسيم لأنها عاشت مرارة التقسيم في بلاد الشام[71].

موقف الشعب السوري من الهيئة

إن للشعب السوري مواقفه المعروفة المساندة للشعب الليبي من بداية حدوث الغزو الإيطالي وهجرة بعض الليبيين إلى سوريا وذلك من خلال السماح للمهاجرين بالكتابة في الصحف السورية وفضح الأعمال التي يقوم بها الإيطاليون في ليبيا[72]، واستمر هذا الموقف السوري المتمثل في السماح لإخوانهم الليبيين بممارسة العمل الصحفي للتعبير عن رأيهم وتوضيح السياسة الاستعمارية البريطانية تجاه تقسيم ليبيا والنيل من حريتها[73].

إضافة إلى وقوف الشعب السوري إلى جانب إخوانه الليبيين وقف رئيسها أيضا إلى جانب القضية الليبية في مؤتمر زهراء أشاص بمصر في 28 مايو 1946 والذي حضره ملوك ورؤساء الدول العربية[74].

إن وقوف سوريا إلى جانب الشعب الليبي ليس بغريب أو جديد وإنما كان مع بداية الغزو الإيطالي لليبيا عندما عبرت عن ذلك مجلة المنار قائلةً « إن أكثر الشعوب الإسلامية قد انتدبت لمساعدة المجاهدين بالإعانة المالية وكان العرب في مصر وسوريا أبسطهم يداً »[75].

إن هذه الوقفة التاريخية من السوريين شعباً وقيادةً تدل على الشعور القومي والتعاطف مع إخوانهم والإحساس بقضيتهم التي تعد قضية كل العرب.

71- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 158، 159.
72- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المصدر السابق، ص 374.
73- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 159.
74- المرجع نفسه، ص 160.
75- مجلة المنار، المصدر السابق، ص 876.

وعلى إثر قرار هيئة الأمم المتحدة باستقلال ليبيا بحدودها التاريخية اجتمعت هيئة تحرير طرابلس وبرقة بالشام في يناير 1950 بمنزل أمين سرها وقررت إيقاف عملها السياسي خارج الوطن حيث لم يعد له ما يبرره، وانتقل بعض أعضائها إلى داخل ليبيا، وبالتالي توقف نشاط الجالية الليبية في بلاد الشام[76].

ويتضح مما سبق أن نشاط الجالية الليبية في الشام كان على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والثقافية، وهذا يدل على المستوى الثقافي الرفيع والإحساس الوطني الذي ينتاب المهاجر الليبي في الديار الشامية.

ثالثا: المهاجرون في تونس

هاجر الليبيون إلى تونس إثر الضغوط التي مورست عليهم من قبل الإيطاليين، وتعد منطقة الجنوب التونسي إحدى المناطق التي استقر فيه المهاجرون الليبيون وذلك بحكم قربها من الحدود الليبية إضافة إلى كونها شهدت حركة اقتصادية كبيرة مع بداية القرن العشرين تمثلت في نشاط الشركات المنجمية مما أتاح فرص العمل لدى المهاجرين الليبيين، فضلا عن ممارستهم لأنشطة أخرى تمثلت في التجارة والفلاحة والتعليم[77].

إضافة إلى تواجد الليبيين في الجنوب التونسي فقد كان الوسط والشمال مكان استقطاب للمهاجرين الليبيين وذلك بحكم خصوبة الأراضي وتوافر المياه وبالتالي امتازت بنشاطها الفلاحي[78].

نشاط المهاجرين السياسي

كان لجمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي التي تأسست في تونس عام

76- تيسير بن موسى، المرجع السابق، ص 165.
77- إبراهيم أحمد أبو القاسم، المرجع السابق، ص 32.
78- المرجع نفسه، ص 35.

1930[79] العديد من الأنشطة السياسية تمثلت في المطالبة بتأليف حكومةٍ وطنيةٍ ذات سيادة قومية وهو مطلب كل الليبيين في الداخل والخارج، كما دعوا إلى تشكيل جمعية تأسيسية لسنِّ الدستور وانتخاب مجلس نيابي حائزٍ على الصلاحية التي يخولها له الدستور[80]، ومن أبرز الأشخاص الناشطين في هذه الجمعية أحمد زارم الرحيبي ومحمد عباس المصراتي[81].

ومن أعمال الجمعية أيضاً التنسيق في عقد المؤتمرات والندوات بين أفراد الجالية، وكذلك التعاون مع قيادات الحزب الحر الدستوري التونسي لدعم الموقف التونسي ضد فرنسا[82].

وهنا يتضح مدى شعور المهاجر الليبي حيال إخوانه التونسيين وهو شعور الأخوة والوطن الواحد والقضية الواحدة.

كما عمل أعضاء الجمعية على الاتصال ببعض المنظمات المناهضة للفاشية وذلك من خلال تزويدها بما يتضمن مطالب الشعب الليبي وبمقال ينتقد الدعاية الإيطالية[83].

نشاط المهاجرين الصحفي

أما عن نشاط الليبيين الصحفي فقد تمثل بإسهامهم في نشر المقالات التي تخدم قضية بلادهم على صفحات الجرائد التونسية، ومن بين هؤلاء الكتاب محمد عباس المصراتي ومحمد توفيق الغرياني وأحمد زارم الرحيبي ومحسن ظافر المدني ومحمد الصادق المحمودي والمنصف الطرابلسي[84].

في عام 1932 أقام المهاجرون الليبيون بمدينة تونس العاصمة احتفالا

79- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المصدر السابق، ص 374.
80- إبراهيم أبو القاسم، المرجع السابق، ص 108.
81- أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1979، ص126.
82- إبراهيم أبو القاسم، المرجع السابق، ص 104.
83- أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص 110.
84- المصدر نفسه، ص 77.

تأبينيا كبيرا بمناسبة الذكرى الأولى لاستشهاد عمر المختار، وقد تناولت هذه الحادثة الصحافة التونسية وعلى رأسها صحيفة لسان الشعب الصادرة بتاريخ 11 أكتوبر 1932 تحت عنوان (الجالية الطرابلسية البرقاوية تحيي ذكرى عمر المختار)، كما ذكرت الصحيفة بأنه ليس هناك دين سماوي ولا قانون وضعي يسمح بإعدام أسير أو طاعن في السن، كما نددت بالسياسة الهمجية والوحشية التي تمارسها إيطاليا داخل ليبيا[85].

وفي الواقع ليس غريباً على الصحافة التونسية المجاورة لليبيا أن تتناول مثل هذا الحدث العظيم الذي ذاع صيته في مختلف أرجاء العالم وتناولته صحف أجنبية[86] وأخرى عربية فعلى سبيل المثال خصت صحيفة فلسطين الصادرة في مدينة يافا الفلسطينية جهاد عمر المختار واستشهاده بخمسة عشر عدداً[87].

ومن المقالات التي أبرزها الصحفيون الليبيون في المهجر التونسي مقال تحت عنوان (إيطاليا تجلي المسلمين عن ديارهم) بجريدة لسان العرب بتاريخ 6 مايو 1931[88].

ويلاحظ هنا مدى التعاون من قبل الصحافة التونسية التي تشعر بأن القضية الليبية هي قضيتهم وأن الشعب الليبي والتونسي شعب واحد رغم الحدود التي رسمها الاستعمار.

ومن أهم الصحف التونسية التي سمحت للأقلام الليبية بالكتابة على صدر صفحاتها، والتي أولت اهتماماً ملموساً بقضية الشعب الليبي صحيفة المعارف، والنهضة، والزهراء، والعهد الجديد، والاتحاد الإسلامي، والأمة، والصواب والمشير،

85- أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص 82.

86- صفاء خلوصي، ذكرى استشهاد عمر المختار في الصحافة اللندنية، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، يوليو 1988، ص 106-113.

87- عبد الرزاق أحمد النصيري، صدى استشهاد عمر المختار في صحيفة فلسطين، بحث غير منشور مقدم إلى المؤتمر التاريخي الرابع الذي عقدته الجمعية التاريخية العربية الليبية، طبرق، 2001.

88- أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص 80.

ومرشد الأمة، ومرشد قدماء المحاربين، وقد أوفدت هذه الصحف عدة مراسلين إلى داخل ليبيا لغرض تغطية المعارك على أرض الواقع ولتزويد وسائل الإعلام العالمية بحقيقة الأعمال الإجرامية التي تقوم بها إيطاليا ضد الليبيين[89].

إن وقوف الصحافة التونسية ودعمها للموقف الليبي ناتج عن الأخوة في الدين والعروبة وربما المقصود منه تحفيز الشعب التونسي لمساندة إخوانهم الليبيين وقد عبرت عن ذلك صحيفة المنار الصادرة في مصر عندما دعت الشعب التونسي إلى الاستمرار في دعمه للشعب الليبي لكي يفند الهيمنة الفرنسية عليه[90].

نشاط المهاجرين التعليمي

كان هناك العديد من الأشخاص المتعلمين الذين هاجروا إلى تونس ومن أبرز هؤلاء عمر أحمد الطرابلسي مدرس مادة القرآن الكريم بمدينة باجه، والشيخ الصادق الغرياني مدرس بالمدرسة المنتصرية بتونس العاصمة، والشيخ محمد اعبيد الفرجاني مدرس بإحدى الزوايا القرآنية بالقيروان، وعبد القادر الورفلي مدرس مادة القرآن الكريم بمدينة تاجروين، وأحمد الفرجاني الترهوني مدرس مادة القرآن هو أيضا، ومحمد غالب الكيب مدرس مواد علمية أخرى، وقد كان لهؤلاء الفقهاء المعلمين دور كبير في دعم الحركة الوطنية الليبية منذ بداية نشاط اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية والبرقاوية بتونس[91].

وقد تركز عمل هؤلاء على توزيع المنشورات التي تدين السياسة الإيطالية داخل ليبيا، إضافة إلى تطبيق التعليمات التي ترد إليهم من مقر اللجنة التنفيذية بتونس العاصمة[92]، والتي كانت على اتصال مباشر بجمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بدمشق[93].

89- أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص 81.
90- مجلة المنار، المصدر السابق، ص 837.
91- أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص 87.
92- المصدر نفسه، ص 140.
93- محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، المصدر السابق، ص 375.

وإلى جانب دور الفقهاء والمدرسين لا ننسى دور الطلبة الدارسين بجامع الزيتونة الذين اعتمدت عليهم لجنة الدفاع البرقاوي الطرابلسي منذ تأسيسها بتونس عام 1929، ومن بين الطلبة البارزين محمد عباس المصراتي ومحمد عمار الرحيبي ومحمود على الزنتاني وعمر مالك الغدامسي، كما انضم إليها العديد من الطلبة خاصة بعد سنة 1934 عندما قامت الجمعية بالتعريف بنشاطها وأهدافها في أوساط المهاجرين(94).

ومن أبرز هؤلاء الطلبة والذي كان على اتصال مباشر ببشير السعداوي زعيم المهاجرين بالشام هو محمد عباس المصراتي الذي تفاعل مع قضية بلاده بكل نزاهة وشرف(95)، حيث كتب مقالاً نشره في صحيفة لسان الشعب تحت عنوان (قطرة من بحر من أفعال الطليان)، كما قام هؤلاء الطلبة إثر استشهاد عمر المختار بإصدار عدة مناشير يحثون فيها المهاجرين على التمسك بمواقفهم النضالية رغم الحوادث والصدمات(96).

نشاط المهاجرين الفني

أسهم العديد من الفنانين الليبيين المهاجرين في إحياء الفن التونسي ومحاولة عرض قضيتهم، ومن بينهم الملحن بشير فهمي والفنانة نجمة الطرابلسية والإذاعي حفظي الزليطني والإذاعي الآخر محسن ظافر الذي يدير محلا لبيع الآلات الموسيقية في باب سويقة بتونس العاصمة إلى جانب ذلك يقوم بنشاطه السياسي لخدمة قضية بلاده(97).

يلاحظ مما سبق أن نضال المهاجرين من أجل قضية الوطن وحد جميع الشرائح من فقهاء ومدرسين وطلبة وكتاب وفنانين تحت شعار من أجل استقلال الوطن ووحدته.

94- أجمد زارام، مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص 140.
95- إبراهيم أبو القاسم، المرجع السابق، ص 95.
96- أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص 138.
97- إبراهيم أبو القاسم، المرجع السابق، ص 78، 79.

الموقف الفرنسي والإيطالي من نشاط المهاجرين

عمل الفرنسيون والإيطاليون على محاولة التقليل من الأنشطة السياسية لدى المهاجرين الليبيين[98]. والذي تمثل في مطاردة القنصلية الإيطالية للأفراد البارزين من الجالية الليبية لإيقاف نشاطهم[99]، وخاصة بعد الاتفاقية التي عقدتها إيطاليا مع السلطات الفرنسية بتونس في 25 يونيو 1914 والتي بموجبها يعد المهاجرون الليبيون في تونس رعايا إيطاليين، ولكن إيطاليا لم تفلح في ذلك لأن معظم المهاجرين ليس لديهم جوازات سفر إيطالية، وإنما دخلوا تونس بناء على تعاطف وتعاون التونسيين مع إخوانهم الليبيين واندمجوا جمعيا، حتى إن السلطات الفرنسية لم يكن باستطاعتها التمييز بين الليبي والتونسي وذلك بحكم وحدة اللغة والدين والعادات والتقاليد[100].

ونتيجة لشدة التعاون بين الشعبين كانت الإعانات تأتي من تونس عبر بن قردان على هيئة قوافل من الإبل بحمولة قدرت إحداها بألف وستمائة طن تقريبا محملة بالدقيق والشاي والأرز والفاصوليا ومواد تموينية أخرى[101].

بناء على تلك المواقف عقدت جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي اجتماعا بتاريخ 17 يوليو 1939 ضم العديد من القيادات السياسية وزعماء المهاجرين وهم محمد حسن المشاي من المشاشية وسالم عبد النبي من الزنتان وأحمد الحاج خليفة بن مبارك من نالوت والحاج إسماعيل بن إسماعيل من مصراتة ومفتاح أحمد عريقيب من زليتن[102]، وأقروا تغيير اسم الجمعية لتصبح جمعية التواد والتراحم الإسلامي بدلا من جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي، وذلك حتى لا تتعرض الجمعية إلى المخاطر والمضايقات من قبل السلطات الإيطالية، مع

98- إبراهيم أبو القاسم، المرجع السابق، ص 115.
99- أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص 149.
100- إبراهيم أبو القاسم، المرجع السابق، ص 120.
101- على عمر الهازل، مصادر التموين في حركة الجهاد 1911-1912، مجلة الشهيد، العدد السابع والثامن، 1986-1987، ص 40.
102- أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص 202.

الاستمرار في عملها التي تأسست من أجله[103].

موقف المهاجرين من الحرب العالمية الثانية

عند اندلاع الحرب العالية الثانية في سبتمبر 1939، وبانضمام إيطاليا إلى جانب ألمانيا في يوليو 1940 كان أمرا مشجعا للمهاجرين الليبيين في الساحة التونسية، حيت قام بعض منهم بالاتصال بالسلطات الفرنسية عن طريق البشير الكيلاني الموظف في الصندوق العقاري بتونس العاصمة، وكذلك عن طريق موظف فرنسي تابع للحكومة الفرنسية[104]، وعلى إثر ذلك تم تكليف كل من أحمد زارم ومحمد عريقيب بالتجول في المدن التونسية لتسجيل المهاجرين الليبيين من أجل دخولهم في الجيش، وبالفعل تم تجنيد أعداد كبيرة منهم، الأمر الذي جعل من أحمد زارم يسافر إلى الجزائر للتنسيق مع مقر قيادة التحالف هناك[105].

إضافة إلى ذلك فقد كان هناك تنسيق بين قيادات المهاجرين في مصر وفي تونس وقد تم الاتفاق المبدئي مع فرنسا للانضمام إلى جانبها ضد إيطاليا غير أن هزيمة فرنسا المبكرة خيبت آمالهم[106].

كما بدأ الجنود الليبيون الموجودون بمدينة قفصة باستلام أسلحتهم والذين بلغ عددهم 400 متطوع تقريباً، ولكن نظراً للتغير في الظروف الدولية واحتلال فرنسا من قبل ألمانيا أوقف ذلك العمل وصار المهاجرون الليبيون تحت رحمة الإيطاليين، حيث سفرت السلطات الفرنسية التابعة للنازية العديد من الشخصيات الليبية إلى السلطات الإيطالية في ليبيا ليتم تعذيبها وقتلها[107].

103- إبراهيم أبو القاسم، المرجع السابق، ص 116.

104- أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص 112.

105- المصدر نفسه، ص 189، 198.

106- أحمد محمد القلال، سنوات الحرب والإدارة العسكرية البريطانية في برقة (1939-1949)، ط 1، جامعة قاريونس، بنغازي،2003، ص 127.

107- انجيلوا ديل بوكا، الإيطاليون في ليبيا، ترجمة: محمد على التائب، ط 2، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين، طرابلس، 1995، الجزء الثاني، ص 400، 401.

أما عن مشاركة الجيش الليبي في تونس بعدما رجحت الكفة لصالح الحلفاء فهي بسيطة إذ تمثلت في مشاركة بعض الأفراد في عمليات استخباراتية أمام صفوف الحلفاء من بينهم محمد شكري كويدير من بنغازي الذي استشهد إثر قنبلة انفجرت أمامه من قبل دول المحور، إضافة إلى عبد الله ابعيو من مصراتة وحميد على المطاطي من بنغازي[108].

وعند انتصار الحلفاء وطرد الإيطاليين من ليبيا اجتمع الأعضاء البارزون من المهاجرين الليبيين في تونس وهم أحمد زارم ومحمد عباس ومحمد بن خليفة بن عامر مع كبار ضباط الإنجليز وطلبوا منهم الاستقلال التام لبلادهم مقابل مشاركتهم السابقة في بعض العمليات العسكرية ولكن كان الرد بالرفض، وبذلك انتهى نشاط المهاجرين في تونس وسافر معظمهم إلى ليبيا قبل مجيء اللجنة الرباعية بقليل[109].

إن رد الإنجليز على المهاجرين الليبيين بالرفض ربما راجع إلى ارتباطاتهم مع الكتلة السياسية المتواجدة في المهجر المصري وارتباطاتهم مع دول الحلفاء الأخرى.

وخلاصة القول أن الليبيين في المهجر قد حققوا نصرا كبيرا في التصدي للأطماع الاستعمارية ومحاولة تقسيم ليبيا من خلال الكفاح السياسي وصولا إلى تحقيق الاستقلال.

108- أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص 393.
109- المصدر نفسه، ص 295-330.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الكتب

1. إبراهيم أحمد أبو القاسم، المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية (1911-1957)، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1992.
2. أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1979.
3. أحمد زارم، مذكرات صراع الشعب الليبي مع مطامع الاستعمار 1943-1968، الدار العربية للكتاب.
4. أحمد محمد القلال، سنوات الحرب والإدارة العسكرية البريطانية في برقة، (1939-1949)، الطبعة الأولى، جامعة قاريونس، بنغازي، 2003.
5. إدريس صالح الحرير، الاستعمار الاستيطاني في ليبيا 1911-1970، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1984.
6. انجيلوا ديل بوكا، الإيطاليون في ليبيا، ترجمة: محمد علي التائب، الطبعة الثانية، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1995، الجزء الثاني.
7. تيسير بن موسى، كفاح الليبيين السياسي في بلاد الشام 1925-1950، مركز دراسة جهاد الليبيين، طرابلس، 1983.
8. سامي الحكيم، حقيقة ليبيا، الطبعة الأولى، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1968.
9. صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.
10. الطاهر الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة، الطبعة الأولى، دار الفرجاني، طرابلس، 1976.
11. عز الدين العالم، تاريخ ليبيا المعاصر السياسي والاجتماعي (1922-1948) الطبعة الأولى، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 2001.
12. مجدي رشاد عبد الغني، العلاقات المصرية الليبية 1945-1969، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007.
13. مجيد خدوري، ليبيا الحديثة، ترجمة: نقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت.
14. محمد الهادي أبوعجيلة، كفاح الشعب الليبي من أجل الاستقلال والوحدة

(1939-1963)، دار مكتبة الشعب، 2012، الجزء الثاني.
15. محمد رجب الزايدي، شكيب أرسلان والقضية الليبية، الطبعة الأولى، مكتبة الوحدة العربية، ليبيا، 1964.
16. محمد سعيد القشاط، ليبيون في الجزيرة العربية، الطبعة الثانية، الدار العربية للموسعات، بيروت، 2008.
17. محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، 1948.
18. محمد فؤاد شكري، ميلاد دولة ليبيا الحديثة، الطبعة الأولى، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1957، الجزء الأول.
19. محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر صفحات من التاريخ السياسي، الطبعة الأولى، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، 2004، الجزء الأول.
20. محمود الشنيطي، قضية ليبيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951.
21. مصطفى أحمد بن حليم، ليبيا انبعاث أمة وسقوط دولة، منشورات الجمل، ألمانيا، 2003.
22. نيكولاي بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن 19 حتى 1969، ترجمة: عماد حاتم، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 1988.

ثانيا: الرسائل العلمية غير المنشورة

23. حمزة عبد السلام زويد، السياسة الأوروبية تجاه ليبيا 1932-1951، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلي كلية الآداب، جامعة طنطا، 2011.

ثالثا: البحوث غير المنشورة

24. عبد الرزاق أحمد النصيري، صدى استشهاد عمر المختار في صحيفة فلسطين، بحث غير منشور مقدم إلى المؤتمر التاريخي الرابع الذي عقدته الجمعية التاريخية الليبية، طبرق 2001.

رابعا: الدوريات

25. صفاء خلوصي، ذكرى استشهاد عمر المختار في الصحافة اللندنية، مجلة

البحوث التاريخية، العدد الثاني، يوليو 1988.
26. علي عمر الهازل، مصادر التموين في حركة الجهاد 1911-1912، مجلة الشهيد، العدد السابع والثامن، 1986-1987.
27. مجلة المنار، المجلد الرابع عشر، الجزء الحادي عشر، 21 نوفمبر 1911.
28. محمد الهادي أبوعجيلة، دور الحركة الوطنية في الكفاح ضد الأطماع الأجنبية في ليبيا عقب الحرب العالمية الثانية، مجلة الساتل، العدد الأول، جامعة 7 أكتوبر، مصراتة، ديسمبر 2006.